مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 119) 2023, pp. 713-724

العلاقات السياسية والاجتماعية بين المماليك 648-923هـ/ 1250-1517 (الخشداشية انموذجا)

أ.م.د. أنوار جاسم حسن العنبكي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم التاريخ
dr.anwar.alanbuke@gmail.com

مستخلص البحث:
أختلف أسلوب المماليك في الحياة عن غيرهم من الشعوب ، حيث لم تقم أسرهم على الأركان المعروفة مثل الأب والأم والأولاد ، كما ان هذه الأسرة لم تكن قائمة على علاقات الدم الواحد ، وإنما على علاقات العبودية والرق والترابط الذي خلقته حياتهم وتربيتهم العسكرية الصارمة في الطباق . وكان هذا المملوك الصغير بحاجة الى أخ وأب لاسيما وهو يعيش غريباً في بلاد ليست بلاده ، لذلك عوضوا أنفسهم عن انفصالهم القسري عن أسرهم وأوطانهم بعلاقات بديلة ، وأوجدوا علاقات مشابهة لعلاقات الأسرة الحقيقية ولكن بمسميات مختلفة ، حيث أن هيكل المجتمع المملوكي كان مبنياً على مايمكن تسميته ب " العائلة المملوكية " مثل الأستاذ وهو بمثابة الأب للمملوك والآغا وهو الأخ الكبير والآني الذي هو بمثابة الأخ الصغير ، فضلاً عن روابط أخرى والتي أهمها كانت رابطة (الخشداشية) أو (الزمالة) أو (الأخوة) ، وقد أثرت هذه الرابطة في قوة وضعف السلاطين وكانت سلاح ذاحدين ، حيث كلما كثرت خشداشية أمير من الأمراء ازدادت مكانته والعكس من ذلك كلما قلت خشداشية أمير من الأمراء كان ذلك دليلاً على ضعفه وسبباً في تعرضه للكثير من المؤامرات والفتن ، لذلك حرص سلاطين المماليك على تعزيز وتشجيع هذه العلاقة بين مماليكهم لكونها مصدر قوتهم وبقاءهم في السلطة أطول فترة ممكنة .
الكلمات المفتاحية: علاقات، اجتماعية ، مماليك، خشداشية.

المقدمة

إن شرح العلاقات بين السلطان ومماليكه من جهة وبين المماليك أنفسهم من جهة ثانية ، ومعرفة الروابط بين هؤلاء جميعاً مهم جداً ، لكونه يساعد في فهم الصراعات السياسية والعسكرية وبالتالي فهم الروابط الاجتماعية والسياسية والتي كانت تؤدي في أحيان كثيرة الى صراعات دموية ، وكذلك كان لشخصية السلطان أثرها الكبير في كبح جماح هؤلاء المتخاصمين أو ترك العنان لهم .

ومن الجدير بالذكر أن دولة المماليك التي تمكنت من بسط نفوذها على مصر وبلاد الشام وأجزاء من الحجاز واليمن واتخذت القاهرة عاصمة لها ، تختلف عن غيرها من الدول التي سبقتها في طريقة تداول السلطة وفي طبيعة العلاقات بين السلطان ومماليكه ، حيث لم يكن الحكم وراثياً في هذه الدولة إلا في حالات نادرة جداً ، لكون المماليك لم يعيشوا في جو العائلة الواحدة أو كانوا من بلد واحد ، فهم مجموعة من الرقيق المستجلب قسراً من بقاع شتى ، تطورت مكانتهم في عهد الدولة الأيوبية (567 – 648 هـ) ولاسيما في نهايتها ، وكان هذا المملوك الصغير بحاجة الى أخ و أب وأم وأسره حاضنه ولاسيما وهو يعيش غريباً في بلاد ليست بلاده ، فكيف استطاع ان يرتبط بعلاقات مختلفة مع السلاطين ومع زملائه ؟ وكيف عوضوا أنفسهم عن انفصالهم القسري عن أسرهم وأوطانهم بعلاقات بديله ؟ حيث كان هيكل المجتمع المملوكي مبنياً على مايمكن تسميته ب((العائلة المملوكية)) ولم تكن

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 119) 2023, pp. 713-724

هذه العائلة قائمة على علاقات الدم وإنما على علاقات العبودية والترابط الذي تخلقه هذه العلاقات ، ولذلك شكل المحرر من العبودية مع مماليكه علاقات مشابهة جداً لتلك العلاقات الخاصة بالعائلة البيولوجية ، مع اختلاف المصطلحات وبما يتوافق مع طبيعة تربية المماليك ، وكانت رابطة الخشداشية واحدة من أهم هذه الروابط أو العلاقات التي جمعت بين الرفاق من المماليك ، ومن هنا جاء سبب اختيار موضوع البحث الموسوم ((العلاقات السياسية والاجتماعية بين المماليك 648 – 923 هـ / 1250-1517 م)) (الخشداشية إنموذجاً) ، وسوف نحاول الاجابة عن التساؤلات السابقة الذكر وعن أهمية الخشداشية وأثرها الكبير في دعم السلاطين فضلاً عن تأثير فقدانها على ضعف السلاطين ولاسيما في عصر دولة المماليك الثانية البرجية (784 - 923 هـ) ، لذلك تم تقسيم البحث الى أربع محاور تضمن حيث شمل أولاً : الحديث عن رابطة الاستاذية لكونها من اول الروابط التي جمعت المملوك بأستاذه او سيده الذي أعتقه ، اما ثانياً : تضمن الحديث عن رابطة الخشداشية وكيف تطورت من رابطة صغيرة بين مملوكين ثم توسعت لتصبح حزباً داعماً للسلطان المملوكي أما ثالثاً : فقد تضمن اثر الخشداشية في دعم سلاطين المماليك وتقوية نفوذهم وسطوتهم أما رابعاً : فقد تضمن أثر فقدان رابطة الخشداشية في ضعف قوة المماليك والتي تصل في بعض الأحيان الى خلعه من السلطة ثم أنهيت البحث بتوضيح أبرز النتائج التي توصلت إليها ، وفي سبيل اعداد البحث السابق الذكر كان لابد من الاستعانة بمجموعة من المصادر الأولية والمراجع الثانوية الخاصة بعصر المماليك .والله ولي التوفيق ...

قبل الحديث عن رابطة الخشداشية وأثرها الكبير في دعم المركز السياسي والاجتماعي للمماليك لابد من معرفة الروابط والعلاقات الأخرى التي جمعت بين المماليك والتي من أهمها :-

أولاً : الأستاذية

الأستاذية هي من أهم الروابط التي تنشأ بين المملوك وسيده الذي اشتراه ، وأطلقت على السيد الذي اشترى المملوك بالمال وتعهده بالتربية حتى كبر وأعتقه ، وقد نسب كثير من المماليك الى اساتذتهم الذين اشتروهم ثم اعتقوهم .[1] وكان تاجر المماليك بمثابة أول أستاذ للمملوك الذي يجلبه من خارج الدولة المملوكية لذلك فهو أول من ينتمي إليه المملوك وينسب إليه .[2] ثم ينتقل المملوك من أستاذ الى آخر وفقاً للأحوال الخاصه التي يمر بها المملوك ، والأستاذ في المعنى الاصطلاحي المملوكي هو الشخص الذي يستقر المملوك بحوزته بالشراء ويظل معه حتى يتم عتقه ، وفي أحيان أخرى يقصد بلفظ أستاذ السيد الذي يكون في خدمته مملوك من المماليك ، أي أنه ليس من الضروري أن يكون هو الذي أشتراه أو أعتقه وبذلك يكون مرادفا للفظ مخدوم .[3]ويرتبط المملوك بأستاذه الذي أعتقه بروابط وثيقه ، ويظل وفياً ومخلصاً له حتى آخر يوم في حياته ، وعندما ينتقل المملوك بعد عتقه الى خدمة سيد آخر يطلق على هذا السيد الجديد مخدوم ويطلق على المملوك مستخدم .[4] غير أن العلاقات بينهما لم تكن في متانة العلاقات التي تربط بين المعتق ومن أعتقه ، ومما يؤكد ذلك مايكنه السلطان من كراهية للمماليك القرانيص الذين انتقلوا الى خدمته وهم من ضمن مماليك السلاطين السابقين ، حيث يعدهم أقل مكانه من مماليك المعتقين .[5]ومن الأمثلة التي توضح شدة الولاء الذي يكنه المملوك لأستاذه الذي أعتقه ما أشتهر به السلطان الظاهر بيبرس (658 – 676هـ) من حب وتقدير لأستاذه ايدكين البندقداري ، حيث جعله نائباً على الشام وكان يقول له في كثير من المناسبات "أنت أستاذي " .[6] وهناك شواهد كثيرة على قوة رابطة الأستاذية وأثرها في دعم المماليك ، حيث أن المماليك الخاصكية [7] التابعين للسلطان خليل بن قلاوون (689 – 693 هـ) ثأروا لسيدهم وقاتليه الأمير بيدرا ولم تهدأ ثائرتهم إلا بعد أن قبضوا على بيدرا وقتلوه وحزوا رأسه .[8] وأظهر السلطان حسام

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.29 (NO. 119) 2023, pp. 713-724

الدين لاجين (696 – 698 هـ) حرصه الشديد على بقاء الحكم في بيت أستاذه قلاوون .[9] حيث نصح الناصر محمد بالتخلي عن الحكم سنة (697 هـ / 1296 م) وعندما أصبح سلطاناً ، أعلن أنه يتولى الحكم بدل الناصر محمد بن قلاوون وأنه ينوب عنه حتى يبلغ أشده وأنه يعد نفسه مملوكهِ ومملوك والده .[10] وكذلك لم يوافق أمراء حلب وحماه وحمص على الحلف بطاعة السلطان بيبرس الجاشنكير (708 - 709 هـ) الذي اغتصب الحكم من السلطان الناصر محمد بن قلاوون .[11] ويعد التقصير في الوفاء والولاء للأستاذ عملاً ذميماً ومثال ذلك عندما علم الأستاذ السلطان الظاهر جقمق (842 – 857 هـ) بتآمر جماعة من المماليك على اغتيال أستاذهم تغري بردي الدوادار .[12] الكبير ومحاصرتهم داره سنة (846 هـ / 1445 م) أرسل جماعة من رؤوس النوب .[13] فقبضوا عليهم وضربوهم ضرباً مبرحاً ثم أرسلهم الى الحبس .[14]

ثانياً : رابطة الخشداشية

الخجداش أو الخشداش ، هو معرب للفظ الفارسي (خواجاتاش) وتعني الزميل في الخدمة أو الرق أو العتق .[15] وتعد من أقوى الروابط بين المماليك وتنشأ داخل ثكنات سيدهم ، وهي عبارة عن علاقة مثالية بين مجموعة المماليك التابعين لسيد واحد ، ويتفق أغلب المؤرخين على وجود هذه الرابطة بين المماليك على العكس من روابط أخرى اعتبروها مجازية وغير حقيقية ،[16] وفي داخل الخشداشية كانت هناك علاقة أقوى هي (الأخوة) أو (الزماله) وتعني علاقة بين أثنين من المماليك موثقة ومعروفة للناس ، وهذا النوع من العلاقات أو الروابط أنقسم الى نوعين أولهما الذي كان ينشأ في طفولة المماليك وهم في الطباق .[17] أما الثاني فلم يكن من نوع الصداقة الطويلة الأمد ، بل كان عبارة عن تحالف بين أثنين منهما يعززه قسم على الاخلاص والولاء لبعضهما .[18] وهذه الأخوة أو العلاقة لم تضمن حقوق الميراث أو تضع قيوداً على الزواج كما في العلاقات الطبيعية ، بحكم الشريعة الاسلامية لكنها كانت تقتضي التزامات واضحة بين المتآخين وأحياناً كانت ألفاظ الأخوة والأبوة تستخدم في سياقات السلطة كشكل من أشكال التعبير عن الولاء والوفاء ، ومن ذلك ماورد عن الظاهر بيبرس انه قال لسنقر الرومي وكان من أكابر الأمراء أنت أخي بحسب ما ذكره المقريزي .[19] ومن الجدير بالذكر أن الخشداشية لم يكونوا في سن واحدة منذ دخولهم الطباق وكذلك اختلفت فترات التحاقهم بهذه الطباق، وكان المتعارف عليه تسمية الواحد من الكبار منهم باسم (آغا) أما الصغار منهم يطلق عليه اسم (آني) وكان الآغا بمثابة مؤدب الآني حيث يخصه بعطفه ورعايته .[20] وفي حالة وقوع صدام أو اشتباك بين المماليك في الطباق أعان الآغا الكبير الأني الصغير ، وتظل هذه العلاقة وثيقة الصلة بين الآغا والآني حتى بعد عتقهم ومغادرتهم الطباق حيث يحرص الآغا على مساعدتهم أي (انياته) ويوصي بترقيتهم في الوظائف والرتب .[21] ومهما وصل الآني من الرقي والنفوذ فأنه يظل معترفاً بفضل آغاته حتى وأن أصبح أعظم منه وظيفة ورتبة ، وهذا ما أشار إليه أبن تغري بردي عندما أشار الى ترقي الآني تنبك البجاسي في الوظائف حتى وصل الى وظيفة نائب حلب في حين أن آغاته (جارقطلو) ظل نائباً في حماه ولم ينتقل الى نيابة حاب إلا بعد أن أصبح تنبك نائباً على الشام ورغم ذلك أعترف تنبك بقدم إحسان (جارقطلو) عليه وأقر بفضله وحق تربيته عليه .[22] وعندما أجتمع الأثنان في حفل شهده السلطان ططر (824 هـ / 1450 م) جلس تنبك في الجانب الذي يجلس فيه آغاته حتى لايطل عليه من مجلسه لأنه " يضطرب في حضرته ".[23]

ثالثاً : أثر الخشداشية في دعم سلاطين المماليك

للخشداشية أثر كبير في دعم السلطان المملوكي وتقوية نفوذه وزيادة سطوته ، فكلما كثرت خشداشية أمير من الأمراء ازدادت مكانته ، وهذا يوضح أن الخشداشيه تجاوزت العلاقة بين أثنين فقط وإنما توسعت لتشمل مجموعة من المماليك الذين يكنون الولاء لسيدهم ، بحيث كلما كثرت خشداشية أمير من الأمراء ازدادت مكانته ، ففي سنة (651 هـ / 1253 م) أصبح الأمير اقطاي زعيم المماليك البحرية الذين كانوا في أوج قوتهم ، لذلك كان لا يستطيع أحد من المماليك " أن يفتح كتاباً أو يتكلم بشيء ولايبرم أمراً إلا بحضوره " .[24] وذلك لكثرة خشداشيته ، فلما قتل اقطاي بتدبير من السلطان ايبك (648- 655هـ) ومملوكه سيف الدين قطز سنة (652 هـ / 1254م) تحرك خشداشيته البحرية .[25] وثاروا لمقتله فترتب على ذلك تحرج لموقف السلطان المعز ايبك فحاول إبعادهم ، حتى تشردوا في الشام وآسيا الصغرى وعملوا على خلق المشاكل له حتى أنتهى الأمر في مساعدتهم على اغتياله .[26] وحرص السلطان الظاهر بيبرس على استمالة خشداشيته من البحرية وذلك عن طريق تعيين عدد منهم والتغافل عن سيئاتهم ، فعندما أعلن الأمير سنجر الحلبي نائب دمشق عصيانه ضد الأمير بيبرس وأستقل بالشام ، فأن بيبرس أخذ في إصلاح أمره معه .[27] وعندما يطمئن السلطان الجديد الى ولاء خشداشيته لكونهم زملاءه وأخوتهِ في الرق والتربية والعتق والخدمة يرفعهم الى الرتب العالية ويعهد إليهم بالوظائف الرئيسه ، فلقد إعتاد السلطان المنصور قلاوون (678-689هـ) على تكريم خشداشيته حيث عين الأمير سنجر نائبا على الشام بعد أيام من سلطته وقرب إليه الأمير بلبان فصار يرعى له حق الخشداشية ويزوره إذا مرض في منزله .[28] واقترنت الخشداشية بالتعصب العنصري أثناء سلطنة بيبرس الجاشنكير (708- 709هـ) فصار الأمر والسلطان في يد البرجية وهم خشداشية بيبرس ولاسيما بيد نواب البلاد الشامية منهم وكان من مظاهر وفاء الخشداشية وحبهم لبعضهم البعض حرصهم على إنقاذ من يقع منهم في محنة ، مثال ذلك أن خشداشية الأمير حسام الدين لاجين (696 – 698 هـ) حاولوا الدفاع عنه عندما خرج على السلطان قلاوون وقبلوا الأرض بين يديه وسألوه العفو عنه بعد أن ألقي القبض عليه بسبب تحريضه بعض الأمراء بالخروج على طاعتهِ لذلك استجابة لخشداشيته أطلقه السلطان وأعاده الى رتبته .[29] وكذلك أقر السلطان لاجين العادل كتبغا (694 – 696 هـ) .[30] في نيابة صرخد بالشام بعد أن طرده من السلطنة سنة (696 هـ / 1295 م) وذلك لأنه خشداشه، وأستجاب السلطان بيبرس الجاشنكير الى رغبة خشداشيته من الأمراء البرجية في عدم إبطال الخمارات بعد أن أمرَ بذلك .[31] وكانت من آداب الخشداشية ما يتهادونه من تقادم .[32] في المناسبات الاجتماعية ، فعندما عقد قلاوون قرانه على أبنة أحد أمراء التتار الذين قدموا الى مصر أرسل إليه الأمراء والسلطان الظاهر بيبرس الهدايا سنة (664 هـ / 1265م) وكانت من ضمن الهدايا أربعة من المماليك السلطانية فرفض قبولهم لأنهم خشداشيتة ويشير المقريزي الى سخط سنقر الرومي في صباه على خشداشية بيبرس لأنه لم يعطه شيئاً من العده التي جلبها منه عند خروجهما معاً الى الشام .[33] وفي هذا دليل أن ظاهرة التقادم بين الخشداشية كانت شائعة بين المماليك . وبلغ من تكريم بعض الأمراء لخشداشيتهم أن الأمير جمال الدين آقوش السلحدار ا وصى سنة (678 ه - 1279م) بأن تدفن رفاته عند خشداشه أيدكين بن عبد الله الشهابي نائب القلعة وأستاذ السلطان بيبرس.[34] وأيضاً من مظاهر تماسك الخشداشية أنه إذا توفى أحدهم أثناء القتال أستولى خشداشيته على ممتلكاته وفق أتفاق مسبق مثلما حدث سنة (897 هـ – 1491م) عندما توارت الخشداشية إقطاعات زملائهم الذيم ماتوا في الوباء في عهد السلطان قاتيباي (872 – 901 هـ) .[35]

رابعاً : أثر فقدان الخشداشية في ضعف المماليك

أن الخشداشية سلاح ذو حدين ، حيث ركزت الدولة المملوكية الأولى على تعميق هذه الرابطة والاعتماد عليها في دعم قوة السلطان ولاسيما وأن دولة المماليك الأولى حرصت على شراء المماليك صغار السن (الأجلاب) وتربيتهم تربية عسكرية وتعميق هذه الرابطة ، فكان ذلك من عوامل قوتها وسطوتها ، غير أن الدولة المملوكية الثانية (الجراكسه) أهملت هذه العلاقة والرابطة المهمة ولم توليها الاهتمام اللازم وركزت على جلب المماليك كبار السن (الجلبان) فضلاً عن ذلك جلب بعض هؤلاء الجلبان والذين أصبحوا فيما بعد سلاطين أهلهم واقاربهم فلم يعودوا بحاجة الى تعميق هذه الرابطة وبالتالي قل دعمهم لبعضهم البعض .[36] ومع مرور الأيام كثر عدد هؤلاء الجلبان فمنهم من ثقل عليه العيش في بلاده ، ومنهم من كان قد أمتهن حرفة أو مهنة ، مما أدى الى انخفاض مستوى التعليم في صفوف المماليك السلطانية في الطباق الأمر الذي أدى بدوره الى ضعف رابطة الخشداشية فيما بينهم ، وكان المماليك السلطانية يعدون العمود الفقري والدعامة الأساسية للجيش المملوكي والقوة الساندة للسلطان عند الحاجة ، وكان قوة تمسكهم وترابطهم تعتمد على قوة رابطة الخشداشية بينهم وذلك قبل تطعيمهم بالجلبان الكبار ، الذين تميزوا بقصر الفترة التي يعيشونها في الطباق .[37] فضلاً عن وجود القرانيص وهم مماليك السلاطين المتوفين منذ أمد بعيد ، أو مماليك السلاطين الذين لم يمضِ على وفاة اساتذتهم فترة طويلة ، وكان هؤلاء أشد خطراً وشوكة لأنهم كانوا يشكلون في بداية عهد السلطان الجديد القوة الحقيقة له ، ويتأثرون بالسلطة فضلاً عن ذلك لم يكن القرانيص من فرقة عسكرية واحدة ، وذلك لانتساب كل جماعة منهم الى السلطان الذي أعتقهم ، فطوائفهم ظلت متفرقة وأكثر الأحيان عدائية فيما بينهما ، وكان يجمعهم قاسم مشترك واحد هو عداؤهم للاجلاب وليس الخشداشية .[38] أما السيفيه فهم مماليك الأمراء الذين توفوا أو قتلوا وسجنوا وأسقطت عنهم الأمارة ، لذلك هم مشابهون للقرانيص من حيث تعدد انتماءاتهم ، وكانت تنقص هؤلاء السيفيه أسوةً بالقرانيص أمران ، الأول الخشداشية والأمر الثاني الخدمة عند أستاذ واحد .[39] لذلك كانوا غرباء بعضهم عن البعض الآخر، وهذان الأمران أضعفاهم وكانا سبباً في كسر شوكتهم ، لذلك لم يحظوا بمكافآت السلاطين واضطروا الى اتباع سياسة الأمر الواقع ، أي الوقوف الى جانب السلطان الحاكم وكانوا أدنى درجات المماليك السلطانية ، ومثال ذلك عندما عين الأمير يوسف نائباً على صفد في عهد المؤيد شيخ المحمودي (518- 824هـ) أثار هذا التعيين نقمة الأمراء على السلطان باعتبار الأمير يوسف سيفياً، وعندما تنافس الأميران بربدك وبرسباي على نيابة دمشق تعصب الأمراء الى برسباي باعتباره سيفياً وليس له خشداشية وبالتالي فأن عزلة سهل ولا يشكل خطراً على طموح الأمراء .[40]

ولقد زادت هجرات الجلبان البالغين ولاسيما في عهد الدولة المملوكية الثانية (الجركسية) وفي عهد السلطان برقوق (748 -790 هـ) الذي أستقدم أهله وجعلهم من حاشيته ، فهذه الهجرات ألحقت الضرر البالغ بالدولة المملوكية فالعائلة بأسرها كانت تهاجر بعد أن يكون قد تأصلت في أفرادها طباع وأخلاق بلادهم ، هذا فضلاً عن أن الجراكسة لم يتمتعوا كالأتراك بالمواهب القتالية كالفروسية والشجاعة التي أكتسبها الأتراك من التربية الصارمة في الطباق .[41] كأن الفروسية لم تكن متأصلة بالجلبان غير أن حاجة الدولة المملوكية إليهم في تلك الفترة جعلهم يعدوهم من المماليك السلطانية كي يشدوا أزرهم بهم مما أدى الى تفكك رابطة الخشداشية وبالتالي تفكك قوة الجيش المملوكي ، فتهاون في التدريب وقلت مهارته العسكرية فهؤلاء الجلبان لم يستطيعوا الانضباط تحت لواء أي أمير بالرغم من كثرة أسلحتهم ، فضلاً عن ذلك الجلبان بشكل عام تميزوا بالغضب والفجور وقلة المسؤولية مما أدى الى ارباكهم لدولة المماليك عسكرياً واجتماعية واقتصادياً .[42] وكانت النتيجة أن أهملت رابطة

الخشداشية وفقدت أهميتها وبالتالي فأن علاقة المماليك فيما بينهم من جهة وعلاقتهم بأستاذهم من جهة أخرى تحددت برابط مادي أكثر منه معنوي ، حيث أن السلطان المملوكي يظل عزيزا ومرهوب الجانب وموفور الاحترام طالما يدفع للمماليك بانتظام وسخاء وإلا أتخذ منه المماليك السلطانية ولاسيما (الجلبان) موقفاً عدائياً ، مما يشير الى بداية انحلال حكم السلطان .[43] ونذيراً بخراب ملكه ونهاية حكمه ، ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة تأثر الخشداشة بالرابط المادي والذي أدى الى فقدانها قد حدث في حالات نادرة أيضاً في عهد الدولة المملوكية الأولى أيضاً ، ومما يؤكد ذلك أن السلطان المعز أيبك (648 – 655 هـ) فقد سلطانه وضاعت هيبته عند المماليك البحرية بعد أن أرتفع شأن الأمير فارس الدين أقطاي ، فأن رسمَ أيبك لأحدهم بشيء أخذ أقطاي أضعاف ماقرره له وصارَ لايصدر أمراً إلا بحضور أقطاي لكثرة خشداشيته .[44] وتولى السلطة حسام الدين لاجين (696 - 698 هـ) بمساعدة خشداشيته غير أنه ما لبث أن نسي ما وعدهم وما قطعه على نفسه لهم من عهود ومواثيق، حيث عين مملوكه (منكوتمر) في نيابة السلطنة ، فأستبد بالأمراء خشداشية السلطان فكان ذلك وبالاً على كليهما .[45] كما أثرت رابطة الخشداشية على ولاء المماليك لبعضهم البعض وكراهيتهم الشديدة لغيرهم ولاسيما ممن لم يكونوا من زملائهم ، حيث تدعوا حالة المملوك الذي يتعرض لسخط أولئك الخشداشية الى الرثاء والعطف حيث يعد نفسه غريباً (فبكتمر الساقي) عندما أنتقل الى خدمة الناصر محمد بن قلاوون (733 هـ / 1332م) غدا غريباً في بيت السلطان لأنه لم يكن له خشداش هناك فكان هو وحده وسائر الخاصكية حرباً عليه ، برغم حظوتهِ عند السلطان .[46] وكذلك كان شأن الأمير (طقزدمر الحموي) زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون حيث عد نفسه غريباً أيضاً في بيت السلطان لأنه لم يكن له خشداش برغم تربيته في بيت قلاوون أثناء إمارته .[47] وفي بعض الأحيان كان الخشداشية ينقسمون على أنفسهم أثناء قيام سلطان جديد فينحاز فريق منهم الى جانب أمير وينضم فريق الى جانب أمير آخر منهم ، ويترتب على هذا الانقسام نشوب الحروب الداخلية من أجل الوصول الى السلطة وأشهر هذه الفتن والتي حدثت بتأثير هذا الانقسام ما وقع من تنافس بين أيبك وأقطاي وبين لاجين وكتبغا وبين السلطان برقوق وبركة الجوباني .[48]

نتائج البحث:

بعد الانتهاء من إعداد هذا البحث الموسوم ((**العلاقات السياسية والاجتماعية بين المماليك 648-923هـ / 1250 -1517 م (الخشداشية إنموذجاً)**)) يمكن الخروج بالنتائج الاتيه :-

1– حرص سلاطين المماليك على تربية الأجلاب من المماليك الصغار الذين جلبوا الى الطباق وعلى تعويضهم عن رابطة الأسرة الحقيقية من خلال تفعيل روابط جديدة مشابهة لرابطة الأسرة الحقيقية كرابطة الأستاذية تعويضاً عن الأب ورابطة الخشداشية تعويضاً عن الأخ ، فضلاً عن ظهور مصطلحات أخرى بدلاً عن الأخ الصغير والكبير كالآغا والآني .

2 – اختلفت أهمية رابطة الخشداشية بحسب المراحل التي كان يمر فيها المملوك في أثناء تربيته بالطباق ، حيث كانت في البداية عبارة عن علاقة بين مملوكين صغيرين ثم تطورت في مراحل أخرى وتوسعت الى علاقة زمالة وأخوه بين مجموعة من المماليك .

3 – كان للخشداشية دور فعال في دعم مراكز السلاطين عند توليتهم سلطنة دولة المماليك ، حيث أسهموا بشكل كبير في تثبيت العديد منهم والدفاع عنهم .

4 – أتضح عمق هذه الرابطة وقوتها ولاسيما في عصر دولة المماليك الأولى والتي اعتمدت على جلب المماليك صغار السن حيث أتضح أنه كلما كان المملوك صغير السن ويتلقى تعليمه بشكل تدريجي في الطباق تعمقت هذه الرابطة بشكل قوي وزاد انتماؤه الى اخوانه وسيده .

5 – كان لإهمال هذه الرابطة من قبل سلاطين المماليك في الدولة المملوكية الثانية (البرجية) أثره الكبير في ضعف قوتهم وتعرضهم للخلع والأقصاء .
6 – غلبت المصالح الشخصية والمادية لهؤلاء الخشداشية في بعض الأحيان على علاقتهم بسلاطينهم واساتذتهم مما أفقدها الرابط المعنوي ، والذي حرص سلاطين المماليك البحرية على تعميقه لديهم ، فضلاً عن أثر هذا العامل المادي في انقسام الخشداشية على انفسهم وأثارة النزاعات فيما بينهم في تأييد سلطان على حساب سلطان آخر .

هوامش ومصادر البحث

1 – ضومط ، انطوان خليل ، الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ، دار الحداثة ، بيروت ، 1982م ، ص190 ؛ دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1990م ، ص14 .
2 – من الجدير بالذكر أن هناك الكثير من السلاطين نسبوا الى اساتذتهم الذين ربوهم مثل بيبرس البندقداري الذي نسب الى أستاذه الأمير علاء الدين البندقداري . ينظر : عاشور ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2001 م ، ص35 .
3 – أبن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، (ت874 هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه ، ب ت ، ج6 ، ص451 ، 459 .
4 – أبن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، (ت 807 هـ) ، تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ، مطبعة الأمريكانه ، 1963م ، ج2 ، ص342 .
5 – ابن أياس ، محمد أبن أحمد بن أياس ، (ت 930 هـ) بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، 1963م ، ج2 ، ص247 .
6 – أبن تغري بردي ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة ب ، ت، ج3 ، ص340 ؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت 902 هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة حسام الدين القدسي ، القاهرة ، ب ت ، ج2 ، ص27 .
7 – الخاصكية : هي فرقة ينتخب السلطان أفرادها من بين المماليك السلطانية وتكون بمثابة الحرس الشخصي للسلطان ، وأفراد هذه الفرقة يلازمون السلطان في خلاواته وتوكل إليهم المهمات الشريفة ، ينظر : دهمان ، محمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص158 .
8 – أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج8 ، ص158 .
9 – المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، (ت845 هـ) ، السلوك في معرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، 1963م ، ج1 ، ص832 ؛ العيني، بدر الدين محمود بن أحمد ، (ت855 هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1988م ، مج70، ص728 .
10 – المقريزي ، السلوك ، ج1، ص832 ؛ أبن أياس ، بدائع الزهور ، ج2 ، ص250 .
11 – أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج8 ، ص239 .
12 – الدوادار ، وهو حامل دواة السلطان وكان من وظائفه أيضاً إبلاغ الرسائل من السلطان . ينظر : دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص98 .
13 – رؤوس النوب : وهم أربعة أمراء يترأسهم مقدم ألف ويشرفون على المماليك السلطانية . ينظر : دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص100 .

14 – العيني ، عقد الجمان ، مج 70 ، ص728 .
15 – المقريزي ، السلوك في معرفة دول الملوك ، ج1، ص338 ؛ أبن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج1 ، ص187 ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام ، دار النهضة العربية ، ط1 ، 1965م ، ص314 .
16 – العريني ، السيد الباز ، المماليك ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1967م ، ص143 ؛ ضومط ، أنطوان خليل ، الدولة المملوكية ، ص25 .
17 – الطباق : هي عبارة عن مدارس حربية أو ثكنات يتم فيها وضع المماليك الصغار ويتلقون فيها تعليمهم القراءة والكتابة ومبادئ الفروسية ، وكانت هذه الثكنات مقسمة الى عدة طبقات حيث يوضع كل مملوك مع طبقة جنسه ، للمزيد عن هذه الطباق وأعدادها ونشأتها ينظر : العريني ، السيد الباز ، المماليك ، ص85 .
18 – أبن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج3 ، ص345 ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج2 ، ص65
19 – السلوك في معرفة دول الملوك ، ج1 ، ص338 .
20 – من الجدير بالذكر أن كلمة (آغا) أصلها (آقا) وهي من كلمات اللغة المغولية وتعني الأخ الكبير وترد كثيراً في تاريخ المغول ، ثم دخلت فيما بعد في اللغة الفارسية واستخدمها الكتاب الذين جاءوا بعد غزو جنكيزخان وهذا الأمر ينطبق على لفظة (آني) لكونها من الكلمات المغولية أيضاً وتعني الأخ الصغير ، وكانت من الألفاظ المألوفة في تاريخ المغول . وللمزيد عن هذه الألفاظ ينظر : دهمان ، محمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص251 .
21 – أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص665 ؛ العريني ن المماليك ، ص150 .
22 – المنهل الصافي ، ج1 ، ص 145 .
23 – أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص665 ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج2 ، ص45
24 – أبن الفرات ، تاريخ أبن الفرات ، ج8 ، ص74 .
25 – المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص388 ؛ أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص12 .
26 – أبن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج1 ، ص185 ؛ أبن أياس ن بدائع الزهور ، ج1 ، ص 282 .
27 – أبن الفرات ، تاريخ أبن الفرات ، ج8 ، ص 74 .
28 – أبن الفرات ، تاريخ أبن الفرات ، ص78 .
29 – المقريزي ، السلوك في معرفة دول الملوك ، ج1 ، ص389 ، العيني ، عقد الجمان ، ج1 ، ص180 .
30 – كتبغا : هو زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري وكان أصله من المغول حيث وقع أسيراً في يد المماليك في معركة حمص الأولى سنة (659 هـ) واشتراه السلطان المنصور قلاوون وعندما تولى السلطنة أعتقه وجعله من جملة أمراء دولته، ثم ترقى في الوظائف بفضل كفاءته الحربية حتى وصل الى كرسي السلطنة المملوكية سنة (694 – 696 هـ) للمزيد ينظر : أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج3، ص180 ؛ الشيال ، جمال الدين ، تاريخ مصر الاسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966م ، ص108 .
31 – المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص389 .

32 – التقادم : مصطلح أستخدم في عصر المماليك وأطلق على الهدايا والأموال التي يقدمها النواب والكشاف والقادة العسكريين وغيرهم لبعضهم البعض . ينظر : دهمان ، محمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص205 .
33 – السلوك في معرفة دول الملوك ، ج1 ، ص380 .
34 – المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص512 ؛ أبن أياس ، بدائع الزهور ، ج2 ، ص277 .
35 – أبن أياس ، بدائع الزهور ، ج2 ، ص280 .
36 – عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكي ، ص308 .
37 – المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والمعروف بالخطط المقريزية ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1970م ، ج3 ، ص347 – 348 .
38 – الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين ، (ت 873 هـ) ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راديولس ، المطبعة الجمهورية ، باريس ، 1893م ن ص115 – 116 .
39 –
Agalan , David ,The plague and its effects upon the Mamluk Army Journal of Royal Asiatic Society , London , 1940 , p.66 s13
40 – الظاهري ، زبدة كاشف الممالك ، ص166 ؛ ابن أياس ، بدائع الزهور ، ج2 ، ص120 .
41 – المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص222 ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكي ، ص114 .
42 – المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص300 .
43 – أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج11 ، ص180 .
44 – المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص388 ؛ ضومط ، أنطوان ، الدولة المملوكية ، ص 409 .
45 – أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج9 ، ص300 ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج1 ، ص201 .
46 – ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج2 ، ص236 ؛ ضومط ، أنطوان ، الدولة المملوكية ، ص50 .
47 – أبن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج2 ، ص236 .
48 – أبن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج1 ، ص346 .

Sources of research

1 – Doumit, Antoine Khalil, The Mamluk State, political History Al-Iqtisadi and Al-Askari, Dar Al-Hadatha, Beirut, 1982 AD, pg. 190, Dahman, Muhammad Ahmed, Adictionary of histoncai terms in the Mamluk era, Dar Al-Fikr, Damascus, 1st edition, 19901AD, p. 14 .
2 –Ashour, Saeed Abd Al-Fattah Ashour, Al-Zaher Baybars, The Egyptian General Book Organization. Cairo, 2001 AD, p.35 .
3 – Ibn Taghri Bardi, Abu al-Mahasin Yusuf bin Taghri Bardi Al-Atabek,(D 874 AH), Al-Nujoom Al-Zaahiruh Fi Muluk Misr Walgahirih, printing presses. Costatsoumas and Co.BT,C6,pp. 451, 459 .

4 – Ibn Al-Furat, Nasser al-Din Muhammad bin Abdul Rahim. (D.807AH) , The history of states and Kings , known as the history of Ibn Al- Furat, investigated by Constantine Zureik, Americana Press, 1963, Part 2, pg. 342
5- Ibn Ayas Muhammad Ibn Ahmad Ibn Ayas, (D.930 AH), Badsyie Al-zuhur Fi Wagayie alduhur, investigation by Muhammad Mustafa Ziyadah, Cairo. 1963 AD, part 2, p. 247 .
6 – Ibn Taghri Bardi, Al-Manhal Al-Safi and Al-Mustawfi baed Al-Wafi, Investigated by Mohamed Mohamed Amin, Egyptian General Authority B,T, Part 3 p. 340, Al-Sakhawi, Shams Al-Din Muhammad ibn Abd Al-Rahman , (D 902 AH) aldaw allamie Lahil algarn altaasie , Hossam El-Din Bookshop Al- Qudsi, Cairo, BT,Part 2 p. 27 .
7 – Dahman, Muhammad, Adictionary of historicai-terms word of the era Mamluk, p. 158 .
8 – Ibn Taghri Bardi, Al- Nujoom Al-Zahira, Vol. pg. 158
9 – Al-Maqrizi, Taqi ai-Din Ahmed bin Ali, (D.845 AH), Al-Suluk Fi Maerifat dual almuluk . Muhammad Mustafa Ziyadah, Cairo, 1963 , part 1, p 832 ; Al-Ayni, Badr Al-Din Mahmoud bin Ahmed. (D.855 AH) Aqd Al-Juman Fi tarikh ahl alzaman , investigated by Muhammad Muhammad Amin . The General Book Authority, Cairo. 1988. MG 70, p. 728 .
10 – Al- Maqrizi, Al-Suluk, Part 1, p. 832 ; Ibn Ayas, Bada'I Al-Zuhur . part 2, p. 250 .
11 – Ibn Taghri Bardi, Al-Nujoom Al-Zahira, vol. 8 , p. 239 .
12 – Dahman, Muhammad Ahmed, Adictionary of historical terms, p.98 .
13 – Dahman, Muhammad Ahmed, Lexicon, p. 100 .
14 – Al-Aini, Aqd, Al-Juman, vol.70 , p. 728 .
15 – Al-Maqrizi,Al- Suluk fi Ma'rifat Dawlat al-Muluk, vol.1, p.338 ; Ibn Taghri Bardi, Al-Manhal
Al-Safi, vol.1 p.187 ; Ashour, Saeed abd Al-Fatah, The Mamluk era in Egypt and the Levant, Dar Al-Nahda Al-Arabiya,1st edition, 1995 AD, p.314
16 – Al-Earini, Al-Sayid Al-Baz, Al-Mamalik, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for printing and Al-Nashr, Beirut, 1967 AD , p. 143 .
17 – Al-Earini, Al-Sayid Al-Baz, The Mamalik , p. 85 .
18 – Ibn Taghri Bardi, Al-Manhal Al-Safi, vol. 3, p. 345 ; Al-Sakhawi, aldaw allamie , part 2 , p.65 .
19 – Al-Suluk , vol, 1 p. 338 .
20 – Dahman , Muhammad , Dictionary of Historical Terms in the Mamluk Era, p. 251 .

21 – Ibn Taghri Bardi, Al-Nujoom Al-Zahira, vol. 6 p.665 ; Al-Arini, p.150 .
22- Al-Manhal Al-Safi, vol.1, p.145 .
23 – Ibn Taghri Bardi, Al-Nujoom Al-Zahira, vol.6 , p.665 ; Al-sakhawy , part 2, p. 45 .
24 – Ibn al-Furat, History of Ibn al-Furat, vol. p. 74 .
25 – Al-Maqrizi, Al-Suluk , part 1, p. 388 ; Ibn Taghri, Al-Nujoom , p.150 ,part 7, p.12 .
26 – Ibn Taghri Bardi, Al-Manhal Al-Safi, vol.1 ,p. 185 ; Ibn Ayas, Bada'i al-Zuhur , vol.1, p.282 .
27 – Ibn al-Furat, History of Ibn al-Furat, vol. 8, p. 74 .
28 – Ibn al-Furat, History of Ibn al-Furat, p. 78 .
29 – Al-Maqrizi , Al-Suluk, vol. 1, p.389 ; Al-Aini, Aqd Al-Juman, part 1, p.180 .
30 – Ibn Taghri bardi, Al-Nujoom, part 3, p.180 ; Al-Shayal , Jamal Al-Din, History of
Islamic Egypt, Dar Knowledge , Cairo, 1966, p.108 .
31 – Al-Maqrizi, Al-Suluk, vol 1, p.389 .
32 – Dahman , Muhammad , p. 205 .
33 – Al-Suluk , part 1, p. 380 .
34 – Al- Maqrizi, Al-Suluk , vol.1, p. 512 ; Ibn Ayas , Bada'i al-Zuhur , part 2 , p.277 .
35 – Ibn Ayas, bada'I al-Zuhur, part 2, p. 280 .
36 – Ashour, Sassed Abdel-Fattah, The Mamluk era, p. 308 .
37 – Al-Maqrizi , Al-Mawaeiz Waliaetibar bidhikr alkhutat walathar, Bulaq Press , Egypt, 1970 AD, part 3, p. 347-348 .
38 – Al-Dhaheri, Ghars al-Din Khalil bin Shaheen, (d. 873 AH) Zabadat Kashf Al-mamalik Wabayah Altarag walmasalik, investigated by Pauls Radiulis, Paris, 1893, p. 116 .
39 – Agalan , David , The plague and its effects upon the Mamluk Army Journal of Royal Asiatic Society, London, 1940, p.66 S13 .
41 – Al- Maqrizi, Al-Khutat , part 2, p.222 ; Ashour, Said Abdel-Fattah .The Mamluk era, p.114 . p.222 ; Ashour , Said Abdel-Fattah . The Mamluk era, p.114 .
42 – Al-Maqrizi, Al-Khutat , part 2, p. 300 .
43 – Ibn Taghri Bardi , Al-Nujoom Al-zahira, vol. 11, p. 180 .
44- Al-Maqrizi, Al-Suluk vol. 1, p. 388 ; Doumit , Antoine, The mamluk State , p. 409 .

45 – Ibn Taghri Bardi , Al-Nujoom Al-Zahira , part 9 , p.300 ; Al-Sakhawi, aldaw allaamie, vol. 1 p.201.
46 – Ibn Taghri Bardi, Al-Manhal Al-Safi, part 2, p. 236 .
47 – Ibn Taghri Bardi, Al-Manhal Al-Safi, part 2, p. 236 .
48 – Ibn Taghri Bardi, Al-Manhal Al-Safi, part 1, p. 346 .

Political and Social relations between the Mamluks
648 – 923 AH / 1250-1517 AD
(Al-Khashashayaa as a model)

Abstract:
The Mamluk style of life differed from that of other peoples , as their families were not based on one-blood relations , but rather on relationships Slavery , slavery , and the interconnectedness of their lives and their strict military upbringing left the counter This was owned The little and a father , especially since he lives as a stranger in a country that is not his own Forced separation from their families and homelands , they found alternative relationships , and created relationships similar to those of a real family but with different names , since the structure of Mamluk society was based on what could be called " the family " Mamluk . Like the professor , who is like a father to the salve , and the agha , who is the big brother and the one who is like a brother in addition to other bonds , the most important of which was the bond of (al-Khashashiya) or (collegiality) or (brotherhood) , This bond affected the strength and weakness of the sultans and was a double – edged sword , as the more Khashashaya Amir among the princes , the higher his status , and vice versa , the less Khashdashiya one of the princes became . His weakness and the reason for his exposure to many conspiracies and temptations , so the Mamluk sultans were keen to strengthen and encourage this relationship between their Mamluk is the source of their strength and their survival in power as long as possible little .
Key words: Relationships , social , Mamluk , Khchdasha.